ألبطريرك الخالد
مار يوسف عمّانوئيل الثاني

بهنام سليم حبّابة

نصف قرن مضى على انتقال البطريرك مار يوسف عمانوئيل الثاني الى دار الخلود . كان ذلك ضحى الاثنين ١٩٤٧/٧/٢١ لما ردّدت أجراس الموصل دقاتها الحزينة ، معلنة وفاة ذاك الشيخ الجليل والعراقي الاصيل الذي خدم الدين والوطن ببذل وإخلاص طول عمره المديد . فاهتزّت لنعيه الموصل الحدباء ، وتروّعت بغداد وسائر الأمصار لفقد الرجل صاحب الأيادي والمآثر الغرّاء التي حقّقها في حياتـــه الطويلة ، وبخاصّة في بطريركيته التي ناهزت نصف قرن !

أجلسوه على كرسيّـه بملابسه الحبرية ، وكأنه حي لم يمت ، يحيط به الألوف من المشيّعين ، وأمامهم الآباء المطارنة . وما لبث احدهم – وهو المطران يوسف غنيمة – أن جثا أمامه ثم نهض ، مقبّلاً يده وصارخا في الشعب الحاشد : لقد سقط الجبار !! ومضى يندب ذاك الراعي المقدام ، معدّداً مزاياه وإنجازاته التي لا تُحصى ، ممّهداً لذلك بنبـــذة عن حيـــاته (الإطار رقم ١) .

إن الكلام عن عمّانوئيل طويل بطول حياته المباركة ! وقد أسهب في ذلك كتّاب كثيرون . (الإطار رقم ٣) واليوم ، وبعد نصف قرن من وفاته ، أقصر الكلام عنه في نقاط ثلاث :

١ – مـــزاياه الإدارية
٢ – إنجازاته العمرانية
٣ – مبادراته الأنسانية

*** مزاياه الإدارية :**

كان مار عمانوئيل ذا شخصية قويّـة شجاعة ، تفرض نفسها – فهو تلميذ اليسوعيين – إذ تقدّم ليمسك بيد السلطان عبد الحميد ، ويبادره بمبادرات مؤثّـرة ليدفع غائلة الإضطهاد والتشريد والموت

(*) بهنام سليم حبّابة : معلم ثم مشرف تربوي ، وحاليـًا متقاعد ، شماس في الكنيسة / الموصل .

عن نصارى الرقعة العثمانية يومذاك ، كما حمل الى السلطان رسالة من البابا لاون ١٣ . ومن مبادراته الشجاعة استقباله خليل باشا على ضفة دجلة بالموصل ايام اشتعال الحرب العظمى الاولى ، ودفاعه عن شمال العراق (وكان يعرف بولاية الموصل) ضد مطالبة الأتراك - فقد ألقى مندوب البطريرك عمّانوئيل - معاونه المطران يوسف غنيمة - خطابًا بالفرنسية أمام مندوب هيئة عصبة الامم القادمة لاستجلاء ، (الأفق) مبينًا حق العراق في جزئه الشمالي ، حيث أجاب رئيس الهيئة الدولية (لقد سمعنا من سيادة المطران ما فيه الكفاية!) . كما كانت له من خلال عضويته في مجلس الأعيان مواقف وطنيّـة مشكورة .

ونظراً للمودّة المعروفة له مع فيصل الاول دعاه - اثناء زيارته للموصل في حزيران ١٩٣١ لزيارة المقر البطريركي في دير مار اوراها - فلبّـى جلالته الدعوة .

ومن مزاياه الإدارية ، نظراً لحصافته وفراسته - انه كان موفّـقًا في اختيار معظم مطارينه - والتاريخ شاهد - فكان يختار الرجل المناسب للكرسي المناسب ! ولم يكن يغفل عن نقل القسس المتميّـزين للإفادة من قابلياتهم وخبراتهم .

صورة تذكارية بمناسبة رسامة المطران يوسف شيخو المارديني مطران طهران في ١٩٤٤/٦/١١ ويشاهد من اليمين : مار يوحنا نيسان ومار جرجيس دلال والمطران الجديد والسيد البطريرك مار يوسف عمانوئيل الثاني ثم مار اسطيفان جبري وهو الذي قام بالرسامة ومار يوحنا قريو .

*** أعماله العمرانية :**

في عهد رئاسته المديد ، قام بتعمير الكثير من البيع والمدارس ، منها على سبيل المثال : توسيع

وتجديد كاتدرائية مسكنتا ، وبناء بيعة مار يوسف ومار گورگيس وأم المعونة ومدرستها ومدرسة شمعون الصفا للبنين ، وتجديد هيكل مار قرياقوس وبيعة الطهرة في الموصل ، وبناء بيعة تلكيف الكبرى ، ودير مار أوراها ، وتوسيع وتجديد دير مار ميخائيل ، وهيكل مار يعقوب في تللسقف ، ومار گورگيس والعذراء في ألقوش ، والقدّيسة ترازيا في بيروت ، وكذلك بيعة دير مار ايليا والرها والاهواز والعمارة والعشّار والقدّيسة حنة في بغداد . بالإضافة الى توسيع الدار البطريركية في الموصل والمعهد الكهنوتي ، ودور الوكالات البطريركية في الاسكندرونة ونصيبين ودير الزور والرها وبيروت والاهواز والعشار وتوسيع مار گورگيس والربّان هرمز ومار إيليا ومدارس تلكيف والقوش في بغداد ، وبناء دير لراهبات بنات مريم في بغداد ايضاً .

هذا فضلاً عما شيّده أو جدّده في سعرد - في عهد مطرانيته - من بيع ومدارس ودير مار يعقوب الحبيس

*** مبادراته الانسانية :**

كان البطريرك عمانوئيل رجل الانسانية - ولا عجب في ذلك - فرجل الدين يجب ان يكون رجل الانسانية : وانسانيته هذه أغاثت المنكوبين والملهوفين في (سعرد) ونواحيها ، يومَ ثارت ثائرة الأتراك العثمانيين على الأرمن ، واختلط الحابل بالنابل ، إثر تلك العاصفة الهوجاء عام ١٨٩٥.

أما خلال الحرب العظمى الاولى ، وما كان أهولها على البلاد والعباد ! فقد توافدت الألوف المؤلّفة من ديار بكر وماردين وسعرد ووان والجزيرة ، ومن شمال إيران ، هربًا من الظلم والاضطهاد والسيف ! .. نُهبت املاكهم وضاعت مقتنياتهم واستُشهد العديد من ذويهم مع قسسهم وثلاثة مطارين كان ملاذهم عمانوئيل ... فأطعمهم وكساهم واحتضنهم وآواهم في البيع ، وفتح ميتمًا لصغارهم . وظل يرعاهم حتى انقشعت تلك الغيمة السوداء في ١٩١٩.

ويذكر له التاريخ المبادرة الثانية الكريمة - وهي طلبه العفو عن ستين شخصية من وجوه بغداد وغيرها ، كان قد صدر أمر نفيهم بعيداً . وفيهم مسلمون ونصارى ويهود - وذلك سنة ١٩١٥ . فصدر العفو عنهم إجابةً لطلبه ، وعادوا الى ذويهم شاكرين .

تلك بعض مآثر البطريرك الكبير مار يوسف عمانوئيل الثاني ، نستذكرها بعد نصف قرن لرحيله الى دار البقاء ، طيّب الله ثراه .

إطار رقم - ١ - أبرز التواريخ في حياته

١٨٥٢ ولادته في ألقوش
١٨٦٩ - ١٨٧٩ دراسته لدى اليسوعيين في لبنان
١٨٧٩ رسامته قسًا في الموصل
١٨٩٢ رسامته مطرانًا لسعرد
١٩٠٠ إنتخابه بطريركًا
١٩٤٧ إنتقاله الى دار البقاء

إطار رقم - ٢ - المطارين في عهده ووضع يده عليهم

١ - أدي شير لسعرد - ١٩٠٢ واستُشهد في ١٩١٥
٢ - يعقوب اوجين منّا - وان - ١٩٠٢ + ١٩٢٨
٣ - إسطيفان جبري - نائب عام ١٩٠٢ ثم كركوك (١٩١٨ - ١٩٥٣)
٤ - تيودور مسيّح - كركوك ١٩٠٤ - + ١٩١٧
٥ - اسرائيل اودو - ماردين ١٩١٠ + ١٩٤١
٦ - بطرس عزيز - ايران ١٩١٠ ثم مصر فزاخو + ١٩٣٧
٧ - فرنسيس داود - العمادية ١٩١٠ + ١٩٣٩
٨ - يوحنا نيسان - ايران ١٩١٤ - ثم البصرة فزاخو + ١٩٥٦
٩ - يوسف غنيمة - نائب عام ١٩٢٥ ثم بطريرك + ١٩٥٨
١٠ - جبرائيل نعمو - سوريا ولبنان ١٩٣٩ ثم بيروت + ١٩٦٤
١١ - سليمان اوسطه - معاون في الموصل ١٩٣٩ + ١٩٣٩
١٢ - يوحنا قريو - العمادية - ١٩٤٢ + ١٩٤٦ ، وارتقى ستة آخرون بتفويض منه :
١٣ - ابراهيم الياس - ايران ١٩٣٩ + ١٩٣٩
١٤ - هابيل زيا - ايران ١٩٤٠ + ١٩٥١
١٥ - يوسف شيخو - طهران - ١٩٤٤ تقاعد ١٩٧٣ - + ١٩٧٩
١٦ - اسطيفان كجو - معاون في الموصل ١٩٤٧ + ١٩٥٣
١٧ - روفائيل ربان - العمادية ، الموصل ١٩٤٧ - ١٩٥٧ ثم كركوك + ١٩٦٧
١٨ - بولس شيخو - عقرة ١٩٤٧ ، الموصل ثم حلب وبطريرك + ١٩٨٩

إطار رقم ٣ - مصادر المعلومات عن البطريرك مار عمانوئيل

- النجم - عدد خاص - تموز ١٩٣٠
- القوش عبر التاريخ للمطران يوسف بابان
- الخواطر - مخطوطة للخوري داود رمّو
- سيرة مار عمانوئيل بالكلدانية - القس اسطيفان بلّو
- البطريرك يوسف عمانوئيل - مقال للأب يوسف حبّي - بين النهرين ١٩٧٨
- الرعاة - كتاب مخطوط للقس الياس شير الراهب
- الكنيسة الكلدانية ... للاب يوسف تفنكجي ١٩١٣ بالفرنسية
- تكملة ذخيرة الاذهان (مخطوطة)

(عن حاشية ص ٤١٨ عدد ٤٤ وما بعدها - بين النهرين - مقال للمطران گورگيس گرمو)

- وكذلك عدد خاص لجريدة الموصل (تموز ١٩٤٧ ليونان عبو اليونان)
- نشرة الجمعية الخيرية في حلب الكلدانية - مقال للمطران أنطوان اودو - ١٩٩٥